الأبعاد المعرفية والمنهجية لبرامج تدريس التاريخ في الجامعة الجزائرية
- رصد وتقويم، ومناقشة البدائل-

لخضر بولطيف،

جامعة المسيلة.

اتجهت العديد من الدول الإسلامية غداة استقلالها إلى الاهتمام بتدريس التاريخ في مؤسساتها التعليمية والجامعية، مولية عناية خاصة لتاريخها القومي والوطني، في محاولة منها لدعم استقلالها السياسي بالتأكيد على تميز شخصيتها، وعراقة انتمائها.

لكن في غياب البرامج والمناهج الحديثة التي تنسجم وهويتها الدينية وشخصيتها الوطنية، وتستجيب للتحديات التي تكتنف حاضرها ومستقبلها، فضلا عن افتقاد الكوادر المؤهلة للقيام على هذه المهمة بما يكفل استعادة الثقة بالذات، وتحريرها من أسر الاستلاب الحضاري الذي طالما مورس عليها إبان حقبة الاحتلال، واستمر بعدها بطرائق وأساليب غاية في المكر والدهاء، فقد سُجل تعثر تجربة تدريس التاريخ في العالم الإسلامي، وابتعادها عن تحقيق الأهداف المنوطة بها.

ولما كانت الجزائر في صدارة الدول الإسلامية التي عانت من احتلال استيطاني عمل بلا هوادة على طمس شخصيتها، واجتثاثها من جذورها العربية الإسلامية، فقد ألْفت نفسها أمام تحديات جسيمة، لم تأت استجابتها لها في مستوى الآمال المعلقة على حجم عنايتها بتدريس علوم الدين واللغة والتاريخ، بل ما لبثت إفرازات التعثر في هذا المضمار أن ترجمت فيما شهدته البلاد في ثمانينات القرن الماضي من دعوات - بصرف النظر عن مبعثها وخلفياتها- عكسها قول بعض طلاب المدارس والجامعات أنْ: "ارموا التاريخ في المزبلة!!" (فخار، إ. 1998: 17).

لقد أتاحت لي فرصة الانتساب إلى الجامعة الجزائرية منذ نحو عقد من الزمن، اضطلعت خلاله بتدريس عدد من المواد التاريخية المقررة (ما قبل التاريخ، تاريخ المغرب القديم، تاريخ المعتقدات الدينية، تاريخ المغرب الإسلامي، تاريخ الحركات المذهبية، تاريخ الجزائر، ...)، بالإضافة إلى مادة "منهجية البحث التاريخي"، أن أقف على ضروب من الخلل الحاصل في البرامج والمناهج المعتمدة، مما قدّرت أن يكون وراء إخفاقها في الإسهام في بناء شخصية الفرد المسلم، الذي ينتظر منه الانخراط في تطوير مجتمعه والنهوض بأمته.

وعلى ذلك تطمح هذه الورقة العلمية إلى رصد وتقويم مفردات البرامج والمناهج المعتمدة في تدريس التاريخ بالجامعة الجزائرية، والوقوف على مدى التناسب بين الأبعاد المعرفية والقيمية فيها، مع تحديد مواضع الخلل والقصور الكامن فيها، والذي يحول دون فاعليتها وجدواها.

المنارة للاستشارات

وفي المقابل سنستثمر خبرتنا المتواضعة في تقديم البدائل التي نراها جديرة بتحقيق التكوين المعرفي المنشود، مستلهمين في ذلك عددا من المشاريع العلمية المنجزة، والتي تقدّم بها - في فترات مختلفة- أفذاذ من الباحثين والمفكرين، ممن عنوا بأسلمة التاريخ، وإعادة النظر في بُناه المعرفية والمنهجية.

أولا- مقررات برنامج تخصص التاريخ في الجامعة الجزائرية:

يتوزع برنامج تخصص التاريخ - حسبما تنص عليه المقررات الرسمية- على مدار سني الدراسة الجامعية الأربع، على النحو الآتي (تراجع رزنامة المقررات الرسمية الصادرة عن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، للجمهورية الجزائرية):

- **السنة الأولى:**

ما قبل التاريخ العام والشمال الإفريقي
مدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة (جنوب غرب آسيا والمتوسط)
تاريخ العرب حتى نهاية الخلافة الأموية (تاريخ سياسي وحضاري)
تاريخ أوروبا (العصر الوسيط)
تاريخ الجزائر من 1830 إلى 1914
الجغرافيا العامة
منهجية وتقنية البحث التاريخي
مدخل إلى علم الوثائق والمعلومات
لغة أجنبية (دراسة نصوص تاريخية)

- **السنة الثانية:**

تاريخ المغرب القديم
تاريخ المغرب الإسلامي من الفتح حتى سقوط غرناطة
تاريخ المشرق الإسلامي حتى 1517
تاريخ المغرب الحديث من نهاية القرن 15 إلى 1830
تاريخ أوروبا الحديثة والمعاصرة
تاريخ الجزائر من 1914 إلى 1962
جغرافيا إقليمية
لغة أجنبية (دراسة نصوص تاريخية)

- **السنة الثالثة** (أربع من المواد المقررة اختيارية يقتصر الطالب على اثنتين منها):

المظاهر الحضرية للعالم القديم
الاقتصاد والمجتمع في المغرب القديم
إفريقيا الإسلامية جنوب الصحراء إلى غاية القرن 19
النظم في العالم الإسلامي
العلاقات بين الشرق والغرب خلال العصور الوسطى
الاستعمار والتحرر في العالم الأفروآسيوي (نماذج من القارتين)
قضايا عربية معاصرة
الدولة والمجتمع في تاريخ الجزائر الحديثة والمعاصرة
لغة التخصص

المنارة للاستشارات

• **السنة الرابعة** (يُعفى الطلبة الذين يعملون على مذكرة تخرج من المواد الاختيارية الأربع، بينما يختار الآخرون اثنتين منها):

الملاحة في العصور القديمة
تاريخ المعتقدات والأديان في العصور القديمة
الحركات المذهبية والدعوات السياسية في المغرب الإسلامي
الحياة الثقافية في المغرب الإسلامي
تكوين الدول الحديثة في الأمريكيتين
المسألة الشرقية وحركة الإصلاح في الدولة العثمانية
العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية
الثورة التحريرية: المحطات والمواثيق
لغة التخصص

1 - ملاحظات حول المنهج والمضمون:

من الواضح أن مقررات البرنامج تهدف إلى تزويد الطالب بكم معرفي متنوع، يغطي مختلف حقب التاريخ، وفق التقسيم المتعارف عليه: ما قبل التاريخ، التاريخ القديم، التاريخ الوسيط، التاريخ الحديث والمعاصر.

وباستثناء قسم "ما قبل التاريخ" الذي سنرجئ الحديث عنه إلى مبحث لاحق، فإننا نلاحظ أن التاريخ القديم قد حظي بتغطية تكاد تكون شاملة لشتى أطواره ومناحيه، إذ يتيح للطالب أن يكوّن فكرة مجملة عن مختلف الحضارات التي عرفها تاريخ الإنسانية منذ فجر التاريخ، مع نزوع - يبدو مبررا- نحو نوع من التوسع فيما يتصل بتاريخ المغرب القديم وحضارته.

بينما لا يخلو التاريخ الوسيط من بعض نقص في التغطية، فعلى أن المقرر يتناول الشرق والغرب سياسيا وحضاريا، وما ساد بينهما من علاقات في حالي الحرب والسلم، وإذ قد التفت إلى قارة إفريقيا التي تمثل امتدادا حيويا للعالم الإسلامي، إلا أن إغفاله لقارة آسيا التي تمثل بدورها الامتداد الحيوي ذاته، يظل نقيصة بحاجة إلى التدارك.

أما التاريخ الحديث والمعاصر فلا يؤخذ على مقرَّره من حيث التغطية سوى تخطيه للقضية الفلسطينية كمادة مستقلة، إذ تم إدراجها في جملة من "قضايا عربية معاصرة"، بينما كان الأولى - فيما نرى- إفرادها لما تكتنفه من زخم تاريخي نفسي في الوجدان الإسلامي، ولكونها بؤرة نزاع ما فتئت تستقطب أكثر الصراعات مأسوية ودموية في عصرنا.

لكن الرهان على الكم المعرفي الذي يتعين على الطالب تحصيله خلال السنوات الأربع، كثيرا ما شكّل خيارا محفوفا بمحاذير غير خافية، أقلها المصادرة على حق الطلبة في المناقشة وإبداء الآراء، نظير استنزاف وقت المحاضرات في سرد التفاصيل والجزئيات، التي قلما تعلق بأذهان الطلبة بعد اجتيازهم للاختبارات الفصلية (خليل، ع. 1981: 201- 202).

الأمر الآخر الذي يستوقفنا - بهذا الصدد- هو الحجم الساعي الذي أُفرد لمادة "المنهجية"، فلا يخفى ما تكتسيه المادة من جدوى، مردها ليس - فحسب- إلى اعتنائها بتقنيات البحث والتوثيق، ولكن لما تعرض له من مناهج البحث التاريخي ومدارسه، وهي

المنارة للاستشارات

قضية في غاية الأهمية والخطورة، ومن مجانبة الإنصاف قصرها على السنة الأولى من التحصيل دون سائر السنوات الأخَر، إذ يتعذر على الطالب أن يستكمل أدواته المنهجية ورؤاه الفكرية عبر عدد محدود من الساعات.

2 - ملاحظات حول الرؤية والتصور:

مما لا ريب فيه أن المعرفة التاريخية مهما بدت محايدة في نظر المتلقي، فإنها لا تنفصل عن الرؤى الفلسفية والمنطلقات الفكرية المؤطرة لفكر منتجيها، ومن ثم كان من الضروري محاولة سبر الخلفية التي انبثقت عنها مقررات برنامج التاريخ في الجامعة الجزائرية.

لعل من أهم الانشغالات التي هيمنت على النخبة الوطنية الإصلاحية منذ بواكير القرن الماضي، هو العمل على إعادة صياغة التاريخ الوطني في اتجاه إحياء الذاكرة الجمعية للشعب الجزائري، وترسيخ الاعتقاد بالانتماء إلى ثقافة مغايرة لثقافة المحتل، وضمن هذا المنظور يمكن إدراج كتابات كل من أحمد توفيق المدني، ومبارك الميلي، وعبد الرحمن الجيلالي (مدني، ب. 1998: 131- 152؛ مريوش، أ. 1998: 115-124).

ولن يختلف الوضع كثيرا بعد الاستقلال إذ ظل هذا الهاجس حاضرا في كتابات كبار الباحثين الجزائريين أمثال محمد الطاهر العدواني عن التاريخ القديم، وموسى لقبال عن التاريخ الوسيط، وأبو القاسم سعد الله عن التاريخ الحديث والمعاصر (كواتي، م. 1998: 55- 63).

ولم يكن هذا التوجه في التأليف التاريخي بدعا في الجزائر دون سواها، بل كان السمة المشتركة بين العديد من دول العالم الثالث، التي قدّرت أن الأولوية التي تفرضها المرحلة الراهنة هي "تحرير التاريخ الوطني من التوجهات والأفكار الاستعمارية وإثبات الهوية الوطنية" (المنصور، م. 1989: 17).

غير أنه مع مرور الوقت بدا وأن هذا الهدف المعلن على وجاهته وجدارته بالاعتبار، قد خلق نوعا من الانكفاء على الذات، والاستغراق في الإعلاء من شأن تاريخ قطري، ما لبث البعض أن استغله في بعث النعرات العرقية، من قبيل الفرعونية، والفينيقية، والبابلية، والآشورية، والبربرية، ... (خضر، ع.ع. 1995: 273).

بل إن الأفدح من ذلك هو أن الاعتقاد بأن التاريخ الوطني للأقطار المستقلة قد انفك عن تأثير المدرسة الاستعمارية، يصير نوعا من الوهم إذا استتبع بالقول إنه تاريخ يتمتع بالأصالة والفاعلية، إذ تظل الأطر النظرية والمحددات المنهجية غربية بامتياز. شفيعنا في ذلك، هو الوقوع تحت طائلة التقسيم التقليدي للتاريخ، الذي صار كالمسلّمة التي لا يسوغ الخروج عنها.

ومهما قيل عن الطبيعة الإجرائية لهذا التقسيم، إلا أن المحطات التاريخية التي استند إليها في التمييز بين قديم التاريخ، ووسيطه، وحديثه ومعاصره (يبدأ التاريخ القديم منذ حوالي 3500 ق.م تاريخ ظهور الكتابة، ويمتد إلى حدود سنة 476م تاريخ سقوط روما، ليعقبه التاريخ الوسيط الذي يستمر إلى غاية سنة 1453م تاريخ سقوط القسطنطينية، فالتاريخ الحديث الذي يدوم إلى يومنا هذا، على تباين بين من يجعل التاريخ المعاصر مندرجا ضمنه أو منفصلا عنه)، إنما تصدر عن نظرة غربية استعلائية تجعل

المنارة للاستشارات

"أوربا مركزا للعالم تدور حول قطبه كل المساحات الأخرى في الأرض، وما عليها من شعوب ودول وحضارات، حيث تغدو أشبه بالظلال الباهتة لهيكل التاريخ الأوربي العالي الذي يشع نورا وأهمية وبهاء"(خليل، ع. 1981: 194- 195).

وبما أن هذا التصور لا يتأتى حجبه عن الطالب المتلقي للمادة التاريخية، فما بالك بالآثار الوخيمة التي يمكن انطباعها في نفسه، فضلا عن النقائص التي يتسم بها التقسيم المذكور، والتي يؤول تاريخنا معها من عامل نهوض إلى معوق حضاري.

وتلك النقائص هي ما أجمله بعض الباحثين (خليل، ع. 1992: 63- 64) في النقاط الآتية:

اعتماد التبدل الأفقي في الأسر الحاكمة أساسا للتحقيب الزمني.

الرؤية التجزيئية التي تدرس التاريخ أشتاتا مبعثرة، يغيب معها النسق العام الذي ينتظم الحوادث والوقائع.

التأكيد المتضخم على الجوانب السياسية والعسكرية لهذا التاريخ على حساب الجوانب العقدية والاجتماعية والحضارية.

ممارسة نوع من فك الارتباط المفتعل بين مجريات هذا التاريخ وبين التأثيرات الإسلامية العميقة في نسيجه وشرايينه وخلاياه.

تقطيع الظواهر التاريخية الكبرى وطمس معالمها نتيجة المعالجة الأفقية المتزامنة التي تسعى لدراسة كل عصر على حده.

إن حرص واضعي برامج التاريخ في الجامعة الجزائرية على استيفاء الطالب لأكبر قدر من المعرفة التاريخية الضرورية، لم يواكبه حرص مماثل على تأطير هذه المعرفة برؤى وتصورات، تتجاوز مجرد رد الفعل على المنظومة الاستعمارية، إلى تطلع للاستمداد من معين المنظومة الإسلامية التي تمنح الدرس التاريخي التأثير المنشود، في تأهيل الطالب الجامعي لاكتساب شخصية إيجابية؛ مستنيرة، وواثقة، ومنسجمة، تمكنه من العطاء والفاعلية، وهو ما يمكن أن نستشفه من خلال معاينة فاحصة لواحدة من المواد المقررة.

ثانيا- مادة "ما قبل التاريخ".. أصل الإنسان ومبدأ العقيدة:

يتناول علم "ما قبل التاريخ" حضارات الإنسان العائدة إلى آماد سحيقة قبل ظهور الكتابة الأبجدية، منذ ما لا يقل عن أربعة ملايين سنة، وذلك من خلال التعرف على بقاياها المادية من منحوتات حجرية وعظمية، ورسوم ونقوش جدارية.

وهي على ذلك مادة يشترك فيها التاريخ بوصفه رصدا لحركة الإنسان في الزمان والمكان، مع علوم مسامتة، كعلم الأرض، وعلم الإنسان، وعلم الآثار، ... ما من شأنه أن يطرح مشكلة التخصص، وقدرة المزاوجة على استخدام أدوات بحثية تنتمي إلى حقول معرفية متعددة، وحيث أن ذلك يظل متعذرا في أغلب الأحيان، فلطالما سُجل إسناد المادة إلى غير أهلها، مما كان له عواقب وخيمة على المردود المعرفي والتصور المرجعي لدى الطالب الجامعي.

ويأتي اختيارنا لهذه المادة من بين المواد المقررة، للتمثيل لموضوع بحثنا، ليس لتصدرها قائمة المواد التي يتلقاها الطلبة أول عهدهم بالجامعة، وليس لتفردها بمضامين يقع فيها التاريخ تحت سطوة علوم الطبيعة والتقانة، ولكن لِما أن هذه المادة تمثل الأرضية التي يتأسس عليها ما بعدها، بحكم طرقها لقضايا أساسية ذات صلة ماسة بعقيدة

المنارة للاستشارات

المسلم، كأصل الإنسان، وعلاقته بسائر الأحياء، ومنشأ التفكير الإنساني، وحقيقة الدوافع الدينية.

1- مفردات المادة.. الأهداف والمقاربات:

تدور مفردات مادة "ما قبل التاريخ العام والشمال الإفريقي" - بحسب المقرر الرسمي (تراجع رزنامة المقررات الرسمية الصادرة عن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، للجمهورية الجزائرية)- حول الموضوعات الآتية:

علم ما قبل التاريخ (تعريفه، نشأته، منهجه، موضوعه، أهدافه).

الأزمنة الجيولوجية وخصائصها وظهور الإنسان (الزمن الرابع: مقاييسه، وأقسامه البلايستوسين والهولوسين).

السجل الحضاري للعصر الحجري القديم الأسفل (الحضارتان الألدوانية والأشولية، السلالات، استعمال النار، ...).

السجل الحضاري للعصر الحجري القديم الأوسط (الحضارتان الموستيرية والعاترية، السلالات، طريقة الدفن، ...).

السجل الحضاري للعصر الحجري القديم الأعلى (الحضارتان الإبيرومغربية والقفصية، السلالات، الإنسان العاقل: نوع مشتى أفْلو، الفن والنقش، الرسومات الجدارية، ...).

السجل الحضاري للعصر الحجري الوسيط (الحضارتان الأزيلية والناطوفية، السلالات، ...).

السجل الحضاري للعصر الحجري الحديث والثورة النيوليتية.

فجر التاريخ: المقابر الجنائزية، صهر المعادن، نشأة المدن.

تهدف المادة - بالنظر إلى ما يمكن أن تتم عنه مفرداتها التي استعرضنا- إلى تلقين خلاصات مركّزة لما تُوصل إليه في نطاق علم ما قبل التاريخ، على أنها حقائق علمية ثابتة، دونما استهداف مباشر للقضايا مثار الجدل، وأكثرها حدة: أصل الإنسان، ومبدأ الدين، مع أنه تبين من واقع التجربة أنه لا يمكن المضي في التعاطي مع مفردات المادة دون حسم هاتين القضيتين.

فبالنسبة لقضية أصل الإنسان، فإن الرأي السائد بين الباحثين في "ما قبل التاريخ"، هو أن الإنسان ينحدر من أسلاف أدنى منه مرتبة في سلّم التطور، وأنه والقردة العليا منها السعالي، والشامبانزي، والغوريلا، كان لها جميعا يوما ما جد مشترك، وأن الجنس البشري لم يستقل بخصائصه المعروفة، إلا عبر سلسلة من التغيرات والتحورات استغرقت ملايين السنين (هاولز، و. 1965: 19- 38).

والواقع أن استناد علم ما قبل التاريخ في تحديد أصل الإنسان إلى نظرية التطور والانتخاب الطبيعي، يمثل أكبر عقبة في تقبل العقل المسلم لمعطياته، وعلى الرغم من الانتقادات العلمية المؤسسة التي جرّدت النظرية الداروينية من هالتها وأفقدتها سطوتها (تعد كتابات يحيى، هـ. 2003، من أهم المستندات العلمية التي يمكن الاستئناس بها في نقد نظرية التطور)، إلا أن الإصرار على الاستمرار في تقديم موضوعات ما قبل التاريخ متلبسة بفحوى النظرية، ولو مع بعض التعديلات غير الجوهرية، يعكس عجزا فاضحا عن إيجاد البدائل الملائمة.

المنارة للاستشارات

وهل خطر على بال القائمين على تسطير مفردات المادة، أو القائمين على تدريسها، مدى وخامة الآثار الناجمة عن توطين عقول أبنائنا على تقبل نظرية التطور، وعمق الانعكاسات التي يمكن أن تعود بها على النفس والمجتمع.

فإن الإنسان لما يقع في روعه أنه مجرد حلقة رقمية في سلسلة حلقات محكومة بالصراع من أجل البقاء، والانقلاب المتطاول في الزمن من الحيوانية إلى الإنسانية، سيكون لديه من الشعور بضآلة شأنه وخساسة أصله، خلوا من أي معنى من معاني العناية والتشريف، ما يولّد في نفسه نزوعا نحو العدوانية والاستحواذ، وجراءة على امتهان الذات الإنسانية، مما هو مشاهد ومألوف في البيئة الغربية، التي تجسد نظرية التطور إحدى ركائز ثقافتها (النجار، ع. 1996: 124- 130).

أما بالنسبة للقضية الثانية، وهي مبدأ دين الإنسان، فإن الباحثين الغربيين في "ما قبل التاريخ" قد درجوا على القول بنشأة الدوافع الدينية في النفس البشرية على نحو متدرج، ولهم في ذلك نظريات متعددة أشهرها النظرية الأرواحية والنظرية الطبيعانية (السواح، ف. 1998: 313- 315)، وعلى ما بين النظريتين من فروق اعتبارية، إلا أنهما تلتقيان في كون مظاهر الطبيعة من حول الإنسان هي التي ألهمته عواطفه الدينية المبكرة، سواء حينما توهمها مسكونة بالأرواح، أو لمّا استثارته تجلياتها الباهرة.

وغني عن البيان أن الادعاء بأن الدين محض ابتداع بشري، وأنه جاء تلبية لحاجات روحية أو نفسية، أملتها ظروف تاريخية معينة أحاطت بحياة الإنسان في بيئته الأولى، إنما يتأسس من منطلق إنكار الألوهية، وما يتصل بها من قضايا غيبية. ومن المفارقات العجيبة أن عددا من الباحثين المسلمين قد انساق إلى هذا المنزلق البئيس، استرسالا مع مناقشة تطور الفكر الإنساني، وصيرورته من مرحلة تعدد الآلهة إلى مرحلة توحيد الإله (عبد الباري، ف. 2006: 73- 74).

2- مراجع المادة.. الخلفيات والمنطلقات:

على أن مدرّس مادة "ما قبل التاريخ" بالجامعة الجزائرية لا يجد نفسه - فيما عدا الالتزام بمفردات المادة- مطالبا بإيلاء الأفضلية لمستندات مرجعية بعينها، إلا أن شيوع استخدام مراجع مخصوصة بين الطلاب، يشكل ظاهرة حريّة بالفحص والمعاينة.

من أكثر مراجع المادة تداولا بين الطلاب في إنجاز أبحاثهم الصفية - على الأقل في عدد من جامعات الشرق الجزائري- :

كتاب "تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر"، لمؤلفه: ك. إبراهيمي (1982).

كتاب "ما قبل التاريخ"، لمؤلفه: محمد سحنوني (1990).

كتاب "مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم"، لمؤلفه: محمد الصغير غانم (2003).

ومن الكتب الأجنبية المترجمة، نخص بالذكر:

كتاب "ما وراء التاريخ"، لمؤلفه: وليام هاولز (1965).

كتاب "الجزائر في ما قبل التاريخ"، لمؤلفه: ليونال بالو (2005).

فضلا عن المجلة المتخصصة "ليبيكا"، التي تصدر عن المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ والأنتروبولوجيا والتاريخ.

المنارة للاستشارات

هذا الجرد ليس يرمي - بطبيعة الحال- إلى استقصاء كل ما يصل إلى أيدي الطلبة من مستندات ووثائق مرجعية، لكن عددا من الكتب التي ذكرنا ميزتها كونها - في الأصل- مذكرات تدريس، تخرّج بها أجيال من الدفعات الجامعية.

إن إلقاء نظرة فاحصة على مضامين تلك الكتب ولوائحها البيبليوغرافية، يكشف لنا على أن القاسم المشترك بينها هو مبلغ اتكائها على نتائج الأبحاث والدراسات الغربية، بنسبة تتجاوز 90%، وهو أمر مفهوم في حدود السبق العلمي الغربي في علوم الجيولوجيا والأنثروبولوجيا والأركيولوجيا، والتي تشكل لُحمة علم ما قبل التاريخ وسَداه.

لكن ما يظل عصيّا عن الفهم، هو مجاراة الغالبية العظمى من الباحثين الجزائريين، ممن كتبوا في هذا المجال لنظرائهم الغربيين، في تبني نظريات تطور الإنسان ومنشأ الدين.

ففي كتاب "الجزائر منذ نشأة الحضارة"، لمؤلفه: محمد الطاهر العدواني، والذي لم يتوان في التأكيد على ضرورة "تصحيح المسار، وتعديل الاتجاهات"، يفرد فصلا بعنوان: "الإنسان في نشأته وتطوره"، يذهب فيه إلى أنه يتعين علينا أن نطّرح جانبا التهيّب من "نظرية التطور"، لأنه وعلى حد قوله: "إذا قُدّر لنا أن نبدأ يوما ما السير في طريق العلم، فإنه يتحتم علينا أن لا نبدأ من حيث ابتدأ الغرب في صنع حضارته، بل علينا أن نبتدئ من حيث انتهى الغرب" (العدواني، م. 1984: 68).

كما من غير المفاجئ أن يطالعنا كتاب "الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم"، لمؤلفه: محمد العربي عقون، وهو كتاب صدر ضمن سلسلة الكتب الأساسية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، والموجهة - في المقام الأول- إلى الفئة الجامعية من طلبة باحثين وأساتذة مدرسين، في الباب الثالث الذي خصّه للمعتقدات الدينية، بقوله: "إن موضوع المعتقدات الدينية موضوع واسع وغزير، فهو يعكس الأوهام والأفكار التي تنشأ من علاقة المجتمعات ببيئتها الطبيعية عموما، وخاصة مختلف الظواهر الطبيعية التي كانت غرابتها وغموضها وجبروتها تثير في الإنسان عديد المشاعر، التي تتراوح بين الرجاء والخوف والتفاؤل والتشاؤم، وهو ما يُغني خيال الإنسان الذي تدفعه أوهامه إلى مبادلة الظواهر الطبيعية بمشاعر وإيماءات ومناجاة، تنشأ عنها المعتقدات والأديان" (عقون، م. 2008: 213).

إن المرء ليتساءل: إذا كانت القناعة الشخصية المعبّر عنها لدى جلّ من ذكرنا في مطالع مؤلفاتهم، هي العمل على تجاوز النص التاريخي الذي أنتجه الآخر، والذي غالبا ما يأتي مناقضا لرؤيتنا الوطنية والحضارية، فهل متابعته - بعد ذلك- في أخص المسائل المنافية لمنطلقاتنا الفكرية ومسلماتنا العقدية، من شأنه أن ينتشلنا من الدوران في فلكه، والتطلع إلى غد أفضل؟

ثالثا- حول طبيعة البدائل المقترحة.. معرفيا ومنهجيا:

تصدى الكثير من الباحثين المسلمين منذ أمد بعيد للتحذير من مخاطر تبني المدونة الغربية في العلوم الإنسانية (يسعنا أن نمثل لهذا الاتجاه بكتابات الجندي، أ. 7- 15)، لكن كان مما يؤخذ عليهم من قبل خصومهم أنه بقدر إسرافهم في نقد تلك المدونة والإنحاء على مقرراتها، فإنهم لم يقدموا - في المقابل- أية بدائل معرفية أو منهجية، يمكن أن تكافئ البرامج السائدة، وتزاحمها على مكانتها في النفوس والعقول.

المنارة للاستشارات

غير أنه منذ بضعة عقود شهدت الساحة الإسلامية عددا من المحاولات، التي نجحت في صياغة مشاريع بدائل نظرية وتطبيقية، تظل بحاجة إلى مزيد من التقويم والإثراء.

1- البدائل المقترحة.. المعطى والنسق:

لمّا كان التاريخ يمثل الاستجابة الصحيحة أو المغلوطة، لمنظومة القيم وعالم الأفكار، فكان من الطبيعي أن تنطلق البدائل المقترحة من عقيدة الأمة وقيمها، في اتجاه استقراء حركة التاريخ، والتعرف إلى السنن والضوابط التي تحكمها؛ صعودا وهبوطا، فلا يمكن أن نختزل تاريخنا في "تاريخ فكر، وأحداث، وظواهر اجتماعية، وأوضاع سياسية، بل أيضا - وقبل ذلك- هو تاريخ عقيدة شاملة، لها سماتها، وخصائصها، ومقوماتها المتميزة" (الحجي، ع.ع. 1979: 13).

وإذا كان استحضار دور العقيدة في توجيه حركة الإنسان في الكون، يعبّر عما حظي به الدين من مرجعية مؤثرة في تشكيل الوعي التاريخي لدى المؤرخين المسلمين (نويهض، و. 1998: 72، 74)، فإنه - وهو المهم- بمثابة الحافز للقطع مع المناهج الغربية، ذلك أنها "لا تقوم على أساس متوازن ينظر إلى القيم المادية والروحية كعوامل فعالة مشتركة في صنع التاريخ، بل على العكس، تسعى بدافع من علمانيتها إلى ترجيح الدافع المادي وتقليص مساحة الدوافع الروحية في حركة التاريخ، بل طمسها أحيانا، وإنكارها أساسا كعوامل فعالة في تاريخ البشرية" (خليل، ع. 1981: 194).

يُعد مشروع المفكر الجزائري مالك بن نبي من أقدم المشاريع الرامية إلى إعادة تحقيب وقراءة التاريخ الإسلامي وفق رؤى أصيلة، ويلخص ذلك في فلسفة "الدورة الحضارية"، التي تقوم على تعاقب الأطوار الثلاثة (بن نبي، م. 1986: 28- 33، 35-38):

طور دفقة الروح، ويمتد من مفتتح البعثة النبوية إلى غاية موقعة صفين.

طور إشعاع العقل، ويمتد من موقعة صفين إلى سقوط الموحدين.

طور انفلات الغريزة، ويمتد من سقوط الموحدين إلى يومنا.

كما يعد مشروع الباحث المؤرخ عماد الدين خليل من أكثر المشاريع تأسيسا واستيعابا، إذ يعمد إلى طرح هندسة جديدة لوقائع التاريخ الإسلامي، بناء على تقسيمه إلى خمس مساحات (خليل، ع. 1992: 65، 81- 96):

مسألة الحكم (القيادة، الدول والحكومات).

الانتشار (الفتح الإسلامي، الدعوة الإسلامية).

الهجوم المضاد (الوثنية، اليهودية، الصليبية).

حركة المجتمع (القاعدة: العناصر والفئات والطبقات الاجتماعية).

المعطيات الحضارية (الخصائص والإنجازات).

هذا، وقد طولعنا منذ ما يزيد عن عقدين من الزمن، بمشروع للباحثَين جمال عبد الهادي مسعود ووفاء رفعت جمعة، تحت عنوان: "نحو تأصيل إسلامي للتاريخ"، انتظم عددا من الأجزاء التي تطرقت لجوانب شتى منهجية ومعرفية، يمكن أن نستمد منها معالم تصورهما المقترح لدراسة تاريخ الأمة المسلمة، على نحو ما يلي (مسعود، ج. ع. 1994: 194- 195):

المنارة للاستشارات

مدخل إلى الدراسات التاريخية: يشتمل على التعريف بالله سبحانه وتعالى، والتعريف بالكون، ثم خلق آدم عليه السلام، وهبوطه إلى الأرض المؤذن ببداية تاريخ الأمة المسلمة.

تاريخ الأمة المسلمة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في مشارق الأرض ومغاربها.

تاريخ الأمة المسلمة من بعثته صلى الله عليه وسلم إلى وفاته (السيرة النبوية).

تاريخ الأمة المسلمة على عهد الخلفاء الراشدين.

تاريخ الأمة المسلمة على عهد الخلافة الأموية.

تاريخ الأمة المسلمة على عهد الخلافة العباسية.

تاريخ الأمة المسلمة على عهد الخلافة العثمانية.

تاريخ الأمة المسلمة منذ انهيار خلافة آل عثمان إلى الآن.

كما أتيح لنا أن نقف في بعض كتب الدكتور جاسم محمد سلطان التي أصدرها - حديثا- تحت شعار "مشروع النهضة"، على ما يشبه التخطيط الأولي للتعاطي مع مجمل تاريخ البشرية، عبر مسارين متقاطعين (سلطان، ج. م. 2007: 174- 175):

المسار الأوروبي (الحضارة اليونانية، الحضارة الرومانية، القرون الوسطى، عصر النهضة الأوروبية).

المسار الإسلامي (دولة النبوة، دولة الخلافة الراشدة، الدولة الأموية، الدولة العباسية، الدولة المملوكية، الدولة العثمانية).

تقاطع المسارين الإسلامي والأوروبي (الحروب الصليبية والتترية، سقوط الأندلس، فتح القسطنطينية، الثورة الصناعية).

استجابة العالم الإسلامي (على مستوى: عالم الأفكار، عالم الأشياء، عالم العلاقات).

إن المتأمل في مختلف المشاريع المقدمة لن يفوته ملاحظة أنه لئن كانت السمة المشتركة بينها هي اجتهادها في الاحتكام إلى العوامل الحضارية والمبادئ القيمية، في تناول تاريخ الأمة الإسلامية، إلا أنها تتفاوت - بعدئذ- في التحقق برؤية شمولية تلم بالتفاصيل والجزئيات ضمن كليات جامعة، وكذا في ترك مسافة فاصلة بينها وبين المناهج السائدة، فيما يتعلق باعتماد التبدل الأفقي في الأسر الحاكمة أساسا للتحقيب الزمني.

لكن هذه المشاريع وغيرها مما نسج على منوالها، تظل أطرا نظرية تصورية، تستدعي تجسيدها في صورة أبحاث تطبيقية، تعنى بدراسة قطاعات متنوعة من تاريخنا، وهو ما لم تتجند له أقلام الباحثين إلا على نطاق محدود، لم نتأد معه إلى تحقيق درجة من التراكم المعرفي، ندشن عندها منعطفا في الكتابة التاريخية البديلة.

ومع ذلك يحسن بنا أن نعرض - ولو على سبيل الاستئناس- لنماذج من الكتابات الرائدة في هذا المجال، والتي يؤمل أن تكون محل احتذاء من قبل أجيال الباحثين الجدد.

فمن ذلك، كتابات عماد الدين خليل؛ ومن بينها:

خطوات في الهجرة والحركة (1972).

المنارة للاستشارات

ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز (1970).

الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام: أضواء جديدة على المقاومة الإسلامية للصليبيين والتتر (1980).

وكتابات عبد الحليم عويس، ومن بينها:

الصفحات الأخيرة من حضارتنا (1975).

التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس (1994).

دولة بني حماد: صفحة رائعة من التاريخ الجزائري (1991).

وفي هذا الإطار أيضا يمكننا إدراج كتابات أكرم ضياء العمري، ومن بينها:

عصر الخلافة الراشدة: محاولة لتطبيق قواعد النقد عند المحدثين على الرواية التاريخية (1994).

قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي (1994).

وجاء في تقديم الأستاذ عمر عبيد حسنة للكتاب الأخير، قوله: "فإن هذا الكتاب يأتي في وقته المناسب، ليساهم في إبراز مقومات الهوية الإسلامية، وبيان قسمات المجتمع الإسلامي، وتميزه، من منظور تاريخي، وليدلل على عمق قيم الكتاب والسنة، واستمرارها، وانحياز الأمة إليها، حتى في أشد الفترات، لأنها هي القوة الدافعة للنهوض، المانعة من السقوط" (37/1).

ولعله يسعنا - بكل تواضع- أن نضم إلى القائمة السابقة كتابنا: "فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي" (2009)، والذي كان محل تنويه من الأستاذ احميدة النيفر في تصديره له بقوله: "إن ما يوفره هذا الكتاب للباحث المختص، وللقارئ المهتم بقضايا الفكر الإسلامي، يتجاوز الرصد المتأني لعلاقة فقهاء المذهب المالكي بحكام الدولة الموحدية في الغرب الإسلامي. إنه مساهمة في الإجابة عن السؤال المركب الذي يلاحق الفكر الإسلامي الحديث، والذي يبحث عن معالجة علمية خارج الإيديولوجيات المختلفة:

كيف يمكن للماضي أن يساعد في فهم الحاضر وتحليله في خصوص مسألة النخب وسلطاتها؟

هل توجد نظرية إسلامية في الحكم يمكن استمدادها من المنجَز التاريخي؟" (بولطيف، ل. 2009: 14).

ولقد كان الهدف الذي سطرته لنفسي في هذا الكتاب، وفي صنوه "أثر الخطاب الديني في مجتمع الغرب الإسلامي على عصر الموحدين" (أطروحة دكتوراه قيد الإنجاز)، التطلع إلى التأسيس لاتجاه - ولا أزعم مدرسة- يملك من الجرأة العلمية نظير ما يملك من الأدوات المنهجية، لتناول تاريخ الأمة الإسلامية وفق الرؤية الأقرب لإبراز الحقيقة التاريخية، ومن ثم ضبط المنطلقات الرصينة الموثوقة، لإجراء دراسات تاريخية أفقية شمولية تروم التنظير؛ ما يتحقق معه مفهوم العظة والاعتبار.

2- البدء والتاريخ.. النص والقراءة:

إذا كانت البدائل النظرية والتطبيقية التي عرضنا طرفا منها، وناقشنا بعض حيثياتها، بدت من حيث الكم العددي والحضور الميداني - حتى فيما يتصل بالتاريخ الإسلامي- دون ما يرتجى لها من الفعل والتأثير، فما الظن بالبدائل التي تتجه إلى تعويض

المنارة للاستشارات

برامج ومناهج "ما قبل التاريخ"، وهو الذي لا يكاد ينفلت عن دائرة العلم الغربي نصا وقراءة.

ولكن هذا شأن حركة التغيير والنهوض، عليها أن تشخص الداء وتصف الدواء، ثم تجتهد في إقناع المريض بتعاطيه، بضروب من البرهنة والتجريب.

ولما كانت مفردات "ما قبل التاريخ" في وضعه الراهن، بالجامعة الجزائرية أو بغيرها من جامعات العالم الإسلامي، نابية للمعتقد الديني عموما والمعتقد الإسلامي على وجه الخصوص، بما تنطوي عليه من أفكار من شأنها أن تقوّض تصورات الطلبة الجامعيين ومفاهيمهم الأساسية، وخاصة أن الطالب المسلم يلتحق بالجامعة، في وقت لا تتجاوز الرؤية الإسلامية لديه معرفة قليلة بالإسلام، يكون قد حازها في البيت، أو اكتسبها في مراحل التعليم المتقدمة، ولا يتأتى له معها من الحصانة الفكرية ما يصونه من الوقوع في مغبة التأثيرات الهدامة (العلواني، ط. ج. 1992: 88).

وعلى أن بعض الجامعات، كالجامعة الإسلامية بالجزائر، تحرص على أن تؤمّن للطلبة حدًّا أدنى من الدراسة الشرعية في مرحلة الجذع المشترك، إلا أن الرهان على ذلك ليس كافيا لتجاوز المأزق القائم، لأن أقصى ما يمكن أن يجنيه الطالب من الدراسة الشرعية مع الإبقاء على مضمون "ما قبل التاريخ" على ما هو عليه، هو رفض النتاج الغربي جملة وتفصيلا، أو الشعور بالازدواجية بين المعطى الديني والمعطى العلمي، وكلا المآلين لا يعكس النتيجة المرجوة.

لذلك لا مفر من تناول "ما قبل التاريخ" من منظور إيماني، ضمن معادلة ذات ثلاثة أقطاب: "الله، الكون، الإنسان"، فالكون هو مجال حركة الإنسان، وليست هذه الحركة تتحدد بمعزل عن تصور الإنسان للكون، والعقيدة الإسلامية تفسر الوجود على أنه ثنائية طرفاها إله خالق وكون مخلوق، ومن هذه الناحية يتساوى الإنسان والكون من حيث وضعهما الوجودي بوصفهما مخلوقين لله، لكنهما من ناحية أخرى يتفاوتان من حيث وضعهما القيمي (النجار، ع. 1996: 6- 7).

ومسألة الوضع القيمي للإنسان هي الركن الأساس، في منابذة الطرح الغربي فيما يتعلق بالموقف من خلق الإنسان، وموقف الإنسان إزاء المجتمع الإنساني، وإزاء البيئة الكونية ، فلعقيدة التكريم "دور مهم في إقرار التوازن في ذات الإنسان، وإشاعة الشعور بالقوة في نفسه؛ ذلك لأن اعتقاد الرفعة والعزة يؤدي إلى قوة الإحساس بالوجود، وينمي الشعور بالذات، ويثمر بالتالي الإيمان بالنفس، الذي هو مفتاح التوازن في الشخصية، ومعقد الفاعلية في المحيط" (النجار، ع. 1996: 52).

وإذ لا نرى مندوحة من اتباع هذا المسلك في سبيل أسلمة علم "ما قبل التاريخ"، وإفراغه من محتواه الإلحادي، فلا يفوتنا التذكير بأن كثيرا من جامعاتنا في حين تستبعد اعتبار الوحي مصدرا للمعرفة من أطرها المرجعية، فإنها - مع ذلك- تتغاضى عما لم يكف المتخصصون في "ما قبل التاريخ" ترديده عن "المعلومات غير المؤكدة" (العدواني، م. 1984: 77)، و"التفسيرات غير المؤكدة" (إبراهيمي، ك. 1982: 127)، التي لطالما اضطروا إلى اعتمادها لسد الثغرات، وتبرير التناقضات، فكأنما الخوض في مجاهل العصور السحيقة استنادا إلى الحدس والتخمين، أجدى من الاسترشاد بنصوص الوحي المتواترة.

المنارة للاستشارات

لكننا لا نود أن يخال البعض أن إعمال المنظور الإيماني في دراسة مباحث "ما قبل التاريخ"، تعني المصادرة على كل ما جاءت به المدونة الغربية، بل إننا نتطلع لأن تتدارك الأمة الإسلامية ما يطبع واقعها العلمي في ميادين الطبيعة والأحياء والآثار من قصور وتخلف، لأجل أن يجد الباحثون في تاريخ "القرون الأولى" ما يرفدون بهم أبحاثهم، ويثرون به معطياتهم، دونما شعور بالحرج حيال استعارة منظومة فكرية دخيلة، أو تلفيق منظومة فكرية هجينة.

إن رصد وتقويم مفردات البرامج والمناهج المعتمدة في تدريس التاريخ بالجامعة الجزائرية، وهي قد تختلف بنسبة أو بأخرى عما هو سائد في عموم جامعات العالم الإسلامي، لئن سمح لنا بتحديد مواطن الضعف والخلل فيها، والتي لا شك أنها تحول دون الإسهام في جهود النهوض الحضاري المأمول، إلا أنها من - زاوية أخرى- أكدت لنا على أن أزمة البرامج والمناهج في مؤسساتنا الجامعية إنما هي جزء من أزمة العقل المسلم في مواكبة التغيرات، ورفع التحديات.

وهذه الأزمة لا ينفك حلها عن "تصحيح مسار العقل المسلم، وتصحيح منطلقات الفكر المسلم، وبناء منهجيته العلمية والاجتماعية... لأنه إذا صح المنهج صح الفكر، وأمكنه أن يمد الأمة بالطاقة اللازمة لنشاطاتها وحاجاتها كافة، على الوجه الذي ترى الإفادة منه في جهود البناء والإصلاح والإعمار" (أبو سليمان، ع. أ. 1992: 65)، أما المراهنة على التغني بأمجاد الماضي ومآثر السلف، فلا يمكن أن يؤدي سوى إلى تبرير العجز، والاستكانة إلى المنى.

وإذا كانت البدائل المنهجية والمعرفية التي أتيح معاينتها، وسبر آفاق تطلعاتها، تعطي أملا في مستقبل واعد، بانفراج درجة الوعي في أوساط باحثين يدركون أن من صميم مهامهم الارتقاء بمناهج البحث وطرق التفكير، ولكنها تظل - مع ذلك- جهودا فردية محدودة، لم تتمكن من فرض حضورها، واختبار معطياتها على نطاق واسع في مؤسساتنا الجامعية.

ومهما يكن، فإنه وفي ظل عجز النظم التعليمية السائدة عن تأهيل شخصية الإنسان المسلم، للاضطلاع برسالته الحضارية، التي يمليها عليه انتماؤه إلى الأمة الوسط، وتفعيل قدرته على العطاء والإبداع، فإن وتيرة العمل لتصميم المناهج وتخطيط البرامج البديلة من منظور فلسفة التكامل المعرفي، ستعرف منحى تصاعديا، مستفيدة من خبرات العاملين في حقل التدريس الجامعي، نحو المزيد من النضج والارتقاء والفاعلية.

لائحة المراجع:

- إبراهيمي، ك. (1982). تمهيد حول ما قبل التاريخ، ترجمة: محمد البشير شنيتي ورشيد بورويبة، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- بالو، ليونال. (2005). الجزائر في ما قبل التاريخ، ترجمة: محمد الصغير غانم، عين مليلة- الجزائر: دار الهدى.
- بولطيف، لخضر. (2009). فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، ط1. هيرندن- فرجينيا: منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

المنارة للاستشارات

- الجندي، أنور. (د.ت.). سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، باتنة- الجزائر: دار الشهاب.
- الحجي، عبد الرحمن علي. (1979). نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، ط3. بيروت: مكتبة الصحوة.
- خضر، عبد العليم عبد الرحمن. (1995). المسلمون وكتابة التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، هيرندن- فرجينيا: منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- خليل، عماد الدين. (1980). الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام: أضواء جديدة على المقاومة الإسلامية للصليبيين والتتر، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- خليل، عماد الدين. (1972). خطوات في الهجرة والحركة، بيروت: الدار العلمية.
- خليل، عماد الدين. (1981). في التاريخ الإسلامي: فصول في المنهج والتحليل، ط1. بيروت: منشورات المكتب الإسلامي.
- خليل، عماد الدين. (1992). مدخل إلى إسلامية المعرفة، ط3. هيرندن- فرجينيا: منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- خليل، عماد الدين. (1970). ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، بيروت: الدار العلمية.
- سحنوني، محمد. (1990). ما قبل التاريخ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- سلطان، جاسم محمد. (2007). الذاكرة التاريخية: نحو وعي إستراتيجي بالتاريخ، ط3. القاهرة: مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع.
- أبو سليمان، عبد الحميد أحمد. (1992). أزمة العقل المسلم، ط2. هيرندن- فرجينيا: منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- السواح، فراس. (1998). دين الإنسان: بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط3. دمشق: دار علاء الدين.
- عبد الباري، فرج الله. (2006). العقيدة الدينية: نشأتها وتطورها، ط1. القاهرة: دار الآفاق العربية.
- العدواني، محمد الطاهر. (1984). الجزائر منذ نشأة الحضارة، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- عقون، محمد العربي. (2008). الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

المنارة للاستشارات

- العلواني، طه جابر. (1992). إصلاح الفكر الإسلامي، ط3. هيرندن- فرجينيا: منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- العمري، أكرم ضياء. (1994). عصر الخلافة الراشدة: محاولة لتطبيق قواعد النقد عند المحدثين على الرواية التاريخية، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحِكم.
- العمري، أكرم ضياء. (1994). قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي، ط1. الدوحة: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- عويس، عبد الحليم. (1994). التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس، ط1. القاهرة: دار الصحوة.
- عويس، عبد الحليم. (1991). دولة بني حماد: صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2. القاهرة: دار الصحوة- دار الوفاء.
- عويس، عبد الحليم. (1975). الصفحات الأخيرة من حضارتنا، القاهرة: دار المختار الإسلامي.
- غانم، محمد الصغير. (2003). مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، عين مليلة- الجزائر: دار الهدى.
- فخار، إبراهيم. (1998). "مدرسة جزائرية للتاريخ الوطني". ورقة عمل مقدمة إلى الملتقى الوطني الأول حول المدرسة التاريخية الجزائرية، تنظيم إتحاد المؤرخين الجزائريين، فيفري 1996.
- كواتي، مسعود. (1998). "المدرسة التاريخية: منجزات الحاضر ومهام المستقبل". ورقة عمل مقدمة إلى الملتقى الوطني الأول حول المدرسة التاريخية الجزائرية، تنظيم إتحاد المؤرخين الجزائريين، فيفري 1996.
- مدني، بشير. (1998). "أحمد توفيق المدني: معلم من معالم المدرسة التاريخية الجزائرية". ورقة عمل مقدمة إلى الملتقى الوطني الأول حول المدرسة التاريخية الجزائرية، تنظيم إتحاد المؤرخين الجزائريين، فيفري 1996.
- مريوش، أحمد. (1998). "مبارك الميلي: شيخ المؤرخين الجزائريين". ورقة عمل مقدمة إلى الملتقى الوطني الأول حول المدرسة التاريخية الجزائرية، تنظيم إتحاد المؤرخين الجزائريين، فيفري 1996.
- مسعود، جمال عبد الهادي. وجمعة، وفاء رفعت. (1994). منهج كتابة التاريخ الإسلامي: لماذا؟ وكيف؟، ط3. القاهرة: دار الوفاء.

المنارة للاستشارات

- المنصور، محمد. (1989). "الكتابة التاريخية بالمغرب خلال ثلاثين سنة (1956-1986)". في كتاب: البحث في تاريخ المغرب، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. 17- 27.
- بن نبي، مالك. (1986). وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط5. الجزائر: دار الفكر - دمشق: دار الفكر.
- النجار، عبد المجيد. (1996). قيمة الإنسان، ط1. الرباط: دار الزيتونة للنشر.
- النجار، عبد المجيد. (1996). مبدأ الإنسان، ط1. الرباط: دار الزيتونة للنشر.
- نويهض، وليد. (1998). أسس الوعي التاريخي عند المسلمين، ط1. بيروت: دار ابن حزم.
- هاولز، وليام. (1965). ما وراء التاريخ، ترجمة: أحمد أبو زيد، القاهرة: دار نهضة مصر.
- يحيى، هارون. (2003). خديعة التطور: الانهيار العلمي لنظرية التطور وخلفياتها الأيديولوجية، ترجمة: سليمان بايبارا، استانبول: مؤسسة الرسالة.

المنارة للاستشارات